بدور حاسم في حرب ١٩٤٨ ، ثم تحولت الى (جيش الدفاع الاسرائيلي) · في العام ١٩٤٢ ، كان ٤٣٠٠٠ من اليشوف ، رجالا ونساء ، يحملون السلاح كمتطوعين في جيوش الحلفاء · هذه القوة العسكرية ، التي كانت تشرف عليها سياسيا « الهاغاناه » ، والتي استفادت من تأهيل عسكري جيد ، كانت احدى انجازات اليشوف التي حسمت المعركة مع العرب · يقينا ان اليشوف كان مقسما الى احزاب متنافسة وتخترقه خصومات داخلية وصراعات سياسية وتناقضات مجتمعية ، الا انه يبقى صفا واحدا ازاء الخارج ، وهو يملك الاجهزة التي تصون وحدته هذه وتعبر عنها (٨) ·

هذه الصورة توضح دون لبس ان اليشوف كان كله (عدا الاطفال والشيوخ) معبئا ومهيئا للمعركة القادمة ، بل كان كله في المعركة ، سواء كانت ساخنة أو باردة ، على هذه الجبهة او تلك ، في هذا الصعيد او ذاك · وبكلمة : كان اليشوف مجتمعا سياسيا أو مسيسا ، قائما على مرتكزات مجتمعية وايديولوجية حديثة بوجه عام ·

بالمقابل ، لا نجد شيئا من هذا القبيل في الجانب الفلسطيني · جماعة غير سياسية يجبر القسم الاكثر وعيا والاكثر نفوذا منها (اي افندياتها) ، تحت ضغط تهديد خارجي ، على دخول ميدان السياسة · والى هذا الميدان حملت ، بالطبع ، قيمها وايديولوجياها ووعيها ومصالحها · لذا فالاطر السياسية التي زعم انها حديثة ، الاحزاب ، لم تستطع ان تسيس او تؤطر الشعب تسيسا وتأطيرا حديثين · وكان من الطبيعي ان يوجد بين هذه الاحزاب خلافات برنامجية (عدا حزب الاستقلال) ، لانها كانت امتدادا للانقسامات العشائرية والعائلية التي تخترق المجتمع التقليدي الفلسطيني ، بل ان هذه الاحزاب « الحديثة » توضعت فوق تلك الانقسامات وعبرت عنها « وحدثتها » · كذلك لم تكن الجماعة الفلسطينية تملك تنظيما عماليا يذكر بالهستدروت ، بل على العكس فقد عملت الاحزاب الاكثر تقليدية على محاصرة وخنق النويات العمالية العربية الاخذة في التكون انذاك · كما لم تكن تملك تنظيمات فلاحية تذكر بالكيبوتزات ، الامر الذي فاقم عجز وضعف الجسم السياسي الفلسطيني · ناهيك عن ان الاخير لم يقم ، بشكل منهجي ودائم ، بانشاء منظمات عسكرية تذكر بالهاغاناه ·

هذه الصورة التي للبنية السياسية الفلسطينية ، ومقارنتها بالبنية السياسية التي لليشوف ، تفسر بوضوح كاف الانتصارات السهلة والسريعة التي أحرزها اليشوف في حرب ١٩٤٨ ، انتصارات كشفت القصور والتفسخ العربيين ، لا التفوق والقوة اليهوديين · كما تفسر بوضوح كاف لم كانت مدن وقرى عربية تسقط ، في العام ١٩٤٨ ، بسهولة بيد اليشوف والاف المسلحين العرب قابعين في قراهم (٩) ·